قصص النبيين

للأطفال

الجزء الرابع

أبو الحسن علي الحسني الندوي

مؤسسة الصحافة والنشر
لندوة العلماء لكناؤ الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد، فان كاتب هذه السطور يحمد الله على أنه وفقه ليعود إلى سلسلة " قصص النبيين للأطفال " بعد فترة طالت مدة ثلاثين سنة ، فقد كانت بداية هذه السلسلة في سنة ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م، وإتمامها علي الجزء الثالث على قصة سيّدنا موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - في سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م ثم شغل المؤلف بأعمال كتابيّة تأليفيّة أخرى ، و رحلات طويلة متوالية، صرفته عن إتمام هذه السلسلة الّتي رزقها الله قبولاً عظيماً في حلقات التعليم و المدارس الشعبيّة و الحكومية في شبه القارة الهندية والبلاد العربية، وصدرت لها طبعات في القاهرة و بيروت .

و ألحَّ بعض رجال التعليم والتربية وقادة الفكر على إتمام هذه السلسلة بقصص من بقي من الأنبياء بعد سيدنا موسى، و إكمالها بقصة خاتم النبيين صلوات

الله وسلامه عليه ، فهي مسك الختام ، و نهاية المطاف، و رأوا أن هذا العمل أفضل و أجدى من كثير مّما يشغل المؤلف ومن الموضوعات الّتي يعالجها، وكان المؤلف يشعر في بعض الأحيان بأن الأمر ما عاد سهلا له، لبعد العهد به، وأنه يصعب عليه أن ينزل إلى مستوى الأطفال وأسلوبهم واللغة الّتي يفهمونها، ولكن الله يسّرله هذه المهمة ، فوضع الجزء الرابع في شهر رمضان سنة ١٣٩٥هـ وهو الذي بين يدي القراء، ثم وفقه الله لوضع الجزء الخامس المشتمل على السيرة النبوية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ و سيلي هذا الجزء إن شاء الله، والحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات ـ والصلاة والسلام على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم .

أبوالحسن علي الحسني الندوي

دارالعلوم ندوة العلماء ـ لكهنؤ (الهند)

١٦/شوال سنة ١٣٩٦هـ

قصة سيدنا شعيب عليه الصلاة والسلام

١ - نظرة على القصص السابقة

قرأتم قصة سيدنا إبراهيم و سيدنا يوسف , و قرأتم قصة سيدنا نوح و سيدنا هود و سيدنا صالح , قرأتم قصة سيدنا موسى فى شيئ من التفصيل والتطويل , قرأتم كل ذلك بشوق و رغبة , و إجلال وتقدير , وحلت فى نفوسكم و قلوبكم محل القصص الحبيبة الأثيرة , و وعتها ذاكرتكم , و ذلت بها ألسنتكم , و قد رأكم الناس تحكونها لإخوتكم الصغار , وترددونها للأبوين والإخوة الكبار , وأنتم تتذوقونها , وقد تتحمسون فى حكايتها .

٢- قصة صراع بين الحق والباطل

ولاغرابة , فإنها قصص شائقة مثيرة , وإنها قصة صراع بين الحق والباطل , و بين العلم والجهل , و بين النور والظلام , و بين الإنسانية والوحشية , و بين الجزم واليقين , والظن والتخمين .

ثم إنها قصة انتصار للحق على الباطل ، والعلم على الجهل ، والضعيف على القوي ، والقليل على الكثير ، قصة فيها علم وحكمة ، و موعظة و ذكرى ، وصدق الله العظيم : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

٣ - وإلى مدين أخاهم شعيبا

وليس ما حكيناه لكم من قصص النبيين ، هو كل ما حكاه الله فى القران من قصصهم و حكاياتهم ، ففى القرآن قصص غير هذه القصص.

فيه قصة نبي الله شعيب الذى أرسله الله إلى مدين واصحاب الأيكة ، وهم أصحاب تجارة و سلع . فقد كانوا على الجادة التجارية الكبيرة بين اليمن والشام وبين العراق ومصر ، على ساحل البحر الأحمر .

كانوا يشركون بالله غيره ، كما كانت أمم الأنبياء في كل عصر ، وكانوا - زيادة إلى ذلك -

ينقصون المكيال والميزان ، ويطففون في الكيل ، ويتعرضون للقوافل ، فيتوعدونها و يخيفونها ، ويعيثون في الأرض فسادا ، شأن الأغنياء الأقوياء ، الذين لا يرجون حسابا ولا يخشون عذابا .

فبعث الله إليهم رسوله شعيبا يدعوهم وينذرهم ، ويقول لهم : ﴿ قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ۖ ولا تنقصوا المكيال والميزان ۚ إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴿٨٤﴾ ويقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ۖ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴿٨٥﴾ ﴾

٤ ـ دعوة شعيب عليه السلام

ويبسط لهم في الكلام ويحل عقدة في نفسهم ، وهي عقدة حب المال والزيادة ، فيقول :

إن ما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالظلم

والخيانة ، و إذا نظرتم في حياتكم وفي حياة هؤلاء الذين أثروا و جمعوا الأموال ، وجدتم أن ما اكتسبوه عن طريق التطفيف والبخس والخيانة ، كان مصيره إلى التلف والضياع ، أو الفساد والبلاء ، فسرق أو نهب ، أو أنفق في غير ما يرضي الله ، أو سلط عليه من أتلفه وعبث به ، والقليل الذي ينفع خير من الكثير الذي لا ينفع ﴿ قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾

ونصيحتي لكم خالصة مخلصة ، والله هو الرقيب عليكم وحده . يقول في رفق وحكمة وعلم وبصيرة :

﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾

٥ ـ أب رحيم ومعلم حكيم

و يتنوع لهم في الخطاب ، ويتفنن في النصيحة ، شأن الأب الرحيم والمعلم الحكيم ، فيقول :

﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ

لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

٦ ـ جواب قومه

و قد دقق أذكياؤهم في تفسير هذه الدعوة و تعليلها وقالوا في تيه و زهو ، كأنهم اكتشفوا سرا أو فكوا لغزة : ﴿ يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾

٧ ـ شعيب يشرح دعوته

وتلطف لهم شعيب ، فلم يقس ولم يغضب وأفهمهم أنه ما حمله على هذه الدعوة والنصيحة بعد صمت طويل وعدم تعرض لما كانوا عليه من أخلاق فاسدة وتصرفات جائرة ، إلا ما أكرمه الله به أخيرا بالنبوة والوحي وما شرح له صدره وآتاه نورا من عنده .

وأنه لا يحمله على ذلك الحسد . فقد أغناه الله ورزقه حلالا طيبا . وأنه بذلك سعيد . هنيئ النفس . رخي البال . شاكر لله تعالى بالقلب واللسان .

ثم إنه لا ينهاهم عن أمر و يرتكبه . ويمنعهم من شيئ ويأتيه . وإنه ليس من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم . ولا من الذين يقولون ما لايفعلون . إنما يريد إصلاحهم وإسعادهم وإنقاذهم من العذاب الذي يحلق على رؤسهم . وإن الفضل كله يرجع إلى الله تعالى . وعليه اعتماده .﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ ﴾

٩ـ ما نفقه كثيرا مما تقول

وتجاهل القوم ما أراده شعيب . كأنه كان يتكلم معهم في لغة أجنبية . مع أنه ابن البلد وأخوالقوم . وكأنه كان غير مبين في كلامه غير مفصح . مع أنه

من أبلغهم كلاما وأفصحهم بيانا . وهكذا يقول الناس إذا كبرت عليهم النصيحة وشق عليهم العمل .

٩ ـ شعيب يتعجب من قومه

و تعللوا بضعفه و وحدته وأنه لولا عشيرته وقرابتهم له لرجموه بالحجارة وتخلصوا منه . وقد استنكر ذلك شعيب وتعجب من أن يكون الله العزيز القادر والقوي القاهر . أهون عليهم من عشيرة هي عرضة للأمراض والهلاك والضعف والعجز .

﴿ قَالُوا يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ ﴾

١٠ ـ السهم الأخير

ولما انقطعت حجتهم أطلقوا السهم الأخير الذي أطلقه المتكبرون من كل أمة على نبيهم وأتباعهم :

﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ ﴿٨٨﴾ ﴾

١١ ـ حجة قاطعة

فكان جوابه جواب فخور بدينه ، غيور على عقيدته وضميره : ﴿ ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

١٢ ـ بل قالوا مثلما قال الأولون

فلم ينفعهم ذلك ، بل قالوا مثل ما قال الأولون

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

١٣ ـ عاقبة أمة كذبت نبيها

وكانت العاقبة واحدة ، عاقبة كل أمة كذبت نبيها وكفرت بنعمة الله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾

١٤ ـ بلغ الرسالة وأدى الأمانة

وكان شأن شعيب شأن كل نبي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وأقام الحجة :

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

قصة سيدنا داؤد وسيدنا سليمان

عليهما السلام

ولم يقتصر القرآن على ذكر أيام الله وما لقيه الأنبياء والرسل من تكذيب و سخرية و إهانة و مطاردة

من الأمم التى بعثوا فيها ، وما لقيت هذه الأمم من عقوبة و عذاب ، وهلاك ودمار ، لتكذيبها للرسل ، واستهزائها بهم ، وكيدها لهم ، وهمها بقتلهم ، كما مر بكم في قصص النبيين .

١٠ ـ القرآن يتحدث عن آلاء الله

بل تحدث القرآن كثيرا عن آلاء الله ، وحكى في بسط أحيانا وفي اختصار أحيانا عن نعم كثيرة ، أنعم بها على كثير من الأنبياء ، منهم داؤد وسليمان ، ومنهم أيوب ويونس ، و زكريا ويحي .

فأما داؤد و سليمان فقد مكن الله لهما في الأرض ، ووسع لهما في الملك ، ومد لهما في العلم ، وعلمهما كثيرا مما جهله الناس ، سخرلهما الأقوياء والعتاد ؟ وما لا ينقاد من الحيوانات والجمادات ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾

٢ ـ نعمته على داؤد

فأما داؤد فقد سخر الله له الجبال والطير تتجاوب معه فى الدعاء والتسبيح ، وعلمه صنعة الدروع ، وألان له الحديد :﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ وَيَقُولُ : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

٣ ـ شكره على هذه النعمة

وكان داؤد مع هذا الملك الواسع واليد الحاذقة القوية عبدا خاشعا أوابا ، دائم الذكر ، طويل الدعاء والتسبيح ، حاكما مقسطا ، يحكم بين الناس بالحق ولا يحابي ، يقول الله تعالى :﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ

ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾

٤ ـ نعمة الله على سليمان

فأما سليمان فقد سخر الله له الرياح تجري بأمره وتحمله من مكان إلى مكان ، فيصل إليه في أقرب وقت وأسرع زمان ، وسخرله الأقوياء والحاذقين من الجن ، والماردين من الشياطين ، ينفذون أوامره ، ويكملون مشاريعه العمرانية والبنائية العملاقة .

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن

مَحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

٥- فقه دقيق وعلم عميق

و قد تجلى ذكاؤه وقدرته على الحكم الصحيح في قضية رفعت إلى والده العظيم ، فكان لقوم كرم قد أنبتت عناقيده ، فدخلت فيه غنم لقوم فأفسدته ، فقضى داؤد بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله . قال : وما ذاك ؟ . قال : تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرم كما كان ، دفعت الكرم إلى صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها .

وخصه الله بفقه دقيق وعلم عميق فقال ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾

٦ ـ سليمان يعرف

لغة الطير والحيوان

وقص القرآن قصة حكيمة ممتعة تجلى فيها تيقظ سليمان في تدبير مملكته ورهبة سلطانه ، كيف جمع الله له بين سعادة الدنيا والآخرة ، وبين الملك والتمكين والنبوة والرسالة في الدين ، وكان يعرف لغة الطير والحيوان ، وجمع جنوده من الجن والإنس والطير ذات مرة ، وركب فيهم في أبهة وعظمة ، وكانوا على نظام كامل ، وكانوا في قيادة رؤسائهم ، فمر سليمان على وادي النمل ، فخافت نملة على قبيلتها أن تحطمها الخيول بحوافرها ، ولا يشعر بذلك سليمان وجنوده ، فأمرتهم بالدخول في مساكنهم ، ففهم ذلك سليمان ، ولم يأخذه التيه ولا الزهو بأنه نبي من أنبياء الله ، بل حمله ذلك على حمد الله تعالى وشكر نعمته ، والدعاء للتوفيق للعمل الصالح والانخراط في سلك عباد الله الصالحين .

٧ ـ قصة هدهد

وكان الهدهد رائده وعينه يدله على مواضع المياه ، ومنازل الجيش ، فلم يجده ، فأنكر ذلك وتوعده ، فغاب زمانا يسيرا ثم جاء ، فقال لسليمان : اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك ، وجئتك بخبر صدق عن سبأ وملكتهم ، لهم ملك عظيم و دولة واسعة ، وقد وجدتهم - على هذا العقل والكياسة ، والملك والرئاسة ـ أصحاب سفاهة وجهالة ، وهم يسجدون للشمس من دون الله ، ولا يفقهون ذلك ، ولا يهتدون إلى عبادة الله وحده .

٨ ـ سليمان يدعو ملكة سبأ إلى دينه

وشق على نبي الله أن يكون بجوار مملكته ملك وأمة لا يعرفها ولم تبلغها دعوته ، ولا تزال تعبد الشمس ، وثارت فيه الحمية الدينية النبوية ، و رأى من

الصواب أن يكتب إلى ملكتها وحاكمتها المشركة، ويدعوها إلى الإسلام، والطاعة والاستسلام، قبل أن يزحف على بلادها بجنوده القاهرة، فكتب إليها كتابا بليغا، ودعاها فيه إلى الإسلام والاستسلام، والكتاب يجمع بين الرقة والصرامة وتواضع الأنبياء وغيرة الملوك.

٩ ـ الملكة تستشير أركان دولتها

فقد كان سليمان جامعا بينهما، وكانت المرأة التى تحكم هذه البلاد عاقلة غير متسرعة في الحكم، عندها تجارب واسعة من سير الملوك وأخبار الفاتحين، وإنما خانها عقلها في معرفة الإله وعبادته، فلم تأخذها حمية الملوك، ولم تستبد بالرأي، فأطلعت أهل الرأي من أركان دولتها على هذا الكتاب الذي لم يكن كسائر الكتب، إنه كتاب من أعظم الملوك في زمانها ومن نبي داع إلى الله.

ولما بدأ أركان دولتها يدلون بقوتهم وكثرة جيوشهم إرضاءا وتملقا ـ شأن جلساء الملوك والحكام

في كل زمان ومكان - لم تقبل مقالتهم ولم توافقهم عليها , بل حذرتهم من سوء العاقبة , وذكرتهم بسيرة الملوك الفاتحين في الأمم المفتوحة ومصيرها بعد الهزيمة والانكسار , وقالت : سيكون هذا شأن بلادنا وأمتنا , وقالت لهم : إنني سأرسل إلى سليمان بهدايا وطرف فأمتحنه بها , فإن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه , وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه .

١٠ ـ هدية مساومة

وبعثت إليه بهدية لائقة بالملوك , فلما وصلت إلى سليمان أعرض عنها و زهد فيها , وقال : أتساومونني بمال لأتركم على شرككم وملككم ؟ والذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه , والأمر جد ليس بهزل , والقضية قضية دعوة وطاعة , ليست قضية مساومة , وتوعدهم بقصده لهم وزحفه على ملكهم .

١١ ـ الملكة تأتي خاضعة

فلما رجعت هذه ((البعثة)) إلى ملكة سبأ، وحكت لها القصة، سمعت وأطاعت هي وقومها، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة، ولما تحقق سليمان ـ عليه السلام ـ قدومهم إليه فرح بذلك وحمد الله، وأراد أن يريها آية من آيات الله، ليكون ذلك أدل على قدرة الله ونعمه على سليمان، فأراد أن يحضر عرشها الذي وكلت به رجالا أقوياء أمناء، فطلب من ملائه أن يأتوه بعرشها قبل وصول هذا الموكب العظيم.

وقد تحقق ما أراد سليمان في أقرب وقت وكان معجزة، وأمر به سليمان فغير بعض صفاته، ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته، وإن التبس عليها الأمر كان دليلا على قصور نظرها في أمور أدق منه وأبعد منالا.

١٢ - قصر عظيم من زجاج

وأمر سليمان البنائين من الإنس والجن ، فبنوا لها قصرا عظيما من زجاج ، وأجروا تحته الماء فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبين الماء ، وكان المؤكد أن الملكة تتوهمه ماءا فتكشف عن ساقيها ، وهنالك تتبين الخطأ ، وتدرك قصور نظرها وانخداعها بالمظاهر ، وكانت هي وقومها يسجدون للشمس ، لأنها أكبر مظهر للنور والحياة ، التي هي من صفات الله تعالى ، وهنالك ينكشف الغطاء عن عينيها ، فتعرف أنها كما أخطأت في معاملة الزجاج معاملة الماء فكشفت عن ساقيها ، كذلك أخطأت في معاملة الشمس معاملة الخالق فسجدت لها و عبدتها ، وكان ذلك أبلغ من مأة خطبة وألف دليل .

١٣ ـ وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين

وهكذا كان ، فقد تورطت رغم دهائها وذكائها في هذا الخطأ الفاحش ، وتوهمت الزجاجة ماءا قراقا يسيل و يموج ، فكشفت عن ساقيها، وأرادت أن تخوضه .

هنالك نبهها نبي الله سليمان على خطئها، وقال : إنه صرح ممرد من قوارير، وانكشف الغطاء عن عينها ، وعرفت جهلها في قياس المظهر على الظاهر ، وعبادة الشمس والسجود لها ، وابتدرت تقول : رب إني ظلمت نفسي ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .

١٤- القرآن يحكي قصة سليمان

واقرؤوا هذه القصة الشائقة الممتعة في القرآن ، يقول الله تعالى :

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي

بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ
وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ
مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ
لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ
مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ
مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ
وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ
قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ
شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا
دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ
﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا
جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم
بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ

هُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا
أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ
ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ
﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ
إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى
لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ
رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ
ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ
هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ
مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ
فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ
مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

وهـــذا نبـي الله سـليمان ، وقـد رأيـتم مواقفـه فـي الـدعوة إلـى الله وإلـى التوحيـد ، وحكمتـه وفقهـه وغيرتـه على دينه وعقيدته .

١٥ ـ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا

نسب إليه اليهود مالا يليق بمؤمن موحد شرح الله صدره للإيمان ، فضلا عن نبي مرسل آتاه الله الحكمة و أكرمه بالنبوة ، وشرفه بالخلافة فنسبوا إليه السحر و الكفر، و المداهنة للشرك، و الاضطراب في أمر التوحيد بسبب أزواجه ، فبرأه الله من كل ذلك ، فقال: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

قصة سيدنا أيوب وسيدنا يونس عليهما السلام

١ ـ قصة أيوب نمط آخر من القصص

وقصة أيوب في القرآن نمط آخر من القصص ، ومظهر آخر من مظاهر نعم الله على عباده المؤمنين، الصابرين الشاكرين ، والأنبياء المحبوبين، فقد كان

لـه مـن الـدواب والأنعـام والحـرث شـيئ كثيـر ، وأولاد مرضية ، فابتلي في ذلك كله ، وذهب عن آخره ، ثم ابتلي في جسده ، فلم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل ، حتى عافه الجليس ، وأفرد في ناحية من البلد ، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه ، سوى زوجته التي كانت تقوم بأمره ، واحتاجت أيضا فصارت تخدم الناس من أجله [1] .

٢ ـ صبر أيوب

وكان رغم كل ذلك صابرا شاكرا يلهج لسانه بالذكر والشكر ، لا يشكو ، ولا يتعب ، ولا يتذمر ، ولا يغضب ، ودام على ذلك سنين طوالا ملقى على كناسة بني اسرائيل تختلف الدواب في جسده .

---

[1] العبارة لابن كثير فى تفسيره .

٣ ـ محنة ومنحة

ولما تم ما أراده الله من ابتلاء ، وما أراد به من تكميل ، و رفع درجات ، والرضا بالقضاء ، ألهمه الدعاء المستجاب والذي تجلى فيه عجزه وبؤسه ، وأن لا ملجأ من الله إلا إليه ، وأنه القادر على كل شيء ، وعَافاه الله في بدنه وأهله ، ورد عليه ماله ، وبارك له في كل ذلك ، فكان أضعافا مضاعفة ، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

٤ ـ قصة يونس وحكمتها

وتأتى قصة يونس مقرونة بقصة أيوب ، مؤيدة لها في إثبات قدرة الله تعالى ولطفه بعباده وإغاثته لهم ، حين ينقطع الرجاء ، ويغشى اليأس القاتل والظلام

الحالك ، وتنسد جميع المنافذ ، فلا نور ولا هواء ، ولا امل ولا رجاء ، تدور رحى الموت قوية سريعة تطحن حبة الحياة ناعمة دقيقة .

هنالك تبرز يد القدرة الإلهية ، القوية القاهرة ، الرحيمة الحكيمة . فتخرج هذا الإنسان الضعيف من أشداق الأسد الضاري والموتِ الفاتك ، فيخرج سليما غير مخدوش ، كاملا غير منقوص كأنما كان على فراشه في بيته محفوظا بين أهله .

٥ ـ يونس بين قومه

وهذه قصة يونس : بعثه الله إلى أهل قرية ((نينوا))فدعاهم إلى الله تعالى ، فأبوا عليه ، وتمادوا في كفرهم ، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم ، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث ، فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبي لا يكذب ، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم ، وفرقوا بين الأمهات

وأولادها ، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل ، وجأروا إليه ، ورغت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها ، وثغت الغنم وسخالها ، فرفع الله عنهم العذاب ، قال الله تعالى :

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾

٦ ـ يونس في بطن الحوت

وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة ، فجنحت بهم ، وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقعت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضا ، فأبوا ، ثم أعادوها ، فوقعت عليه أيضا ، قال الله تعالى : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ أي فوقعت عليه القرعة فقام يونس عليه السلام وتجرد من ثيابه ، ثم ألقى نفسه في البحر ، وقد أرسل الله سبحانه حوتا يشق البحار حتى جاء ، فالتقم يونس حين ألقى نفسه

من السفينة ، فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحما ، ولا تهشم له عظما [1].

٧ ـ واستجاب الله دعاءه

فكان في ظلمة بطن الحوت ، في ظلمة البحر ، في ظلمة الليل ، ظلمات بعضها فوق بعض ، فما أشد الظلام ! وما أبعد السلام ! ومكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم ألهمه الله الكلمات التي تبدد الظلمات ، وتكشف الكربات ، وتستنزل الرحمة من فوق سبع سماوات ، واسمعِ القرآن يحكى هذه القصة الغريبة الفريدة ، التى فيها سلوى لكل بائس ملهوف ، ويائس مضطرب قد ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، و ضاقت عليه نفسه ، ورأى عيانا أن لا ملجأ من الله إلا إليه :

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

---

[1] العبارة لابن فى تفسيره .

قصة سيدنا زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ

١ ـ دعاء زكريا لولد صالح

ولون آخر من آلاء الله على عباده و آيات قدرته التي أحاطت بكل شيء ، تجلى في دعاء زكريا لولد صالح رضي ، بر تقي ، يرثه ويرث من آل يعقوب ، ويقوم بالدعوة إلى الله ، و ذلك حين تقدمت به السن ، و وهن منه العظم ، ولج به الشيب ، وانقطع الرجاء من أن تلد زوجه ، فأجاب الله تعالى دعاءه ، وكذب ظنون الناس ، وأبطل التجارب القديمة ، فرزقه ولدا راشدا ، بكر به النبوغ و الحكمة ، و الحلم و العلم ، والكتاب ، في الصغر ، و خص بالحنان و الصلاح و التقوى والبر بالوالدين ، والرقة ولين الكنف وخفض الجناح .

وربط الله على قلب زكريا ، وأراه آيات تدل على قدرة الله الواسعة ، وأنه يفعل ما يشاء ، وأراه تصرفه في خلقه و في أعضاء جسمه يحرك ما يشاء ويعطل ما يشاء ، وتحقق له أن الكون كله بيده ، يخرج الحي من

الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ويرزق من يشاء بغير حساب .

٢ ـ نذر امرأة عمران

وقد نذرت امرأة عمران ـ من أسرة سيدنا زكريا عليه السلام ، وكانت امرأة صالحة تحب الله ، و تحب دينه ـ أنها إذا ولدت ذكرا تهب هذا الولد لله : لخدمة دينه وسألت الله أن يتقبل هذا الولد وينفع به دينه وعباده ، وأن يكون داعيا إلى الله وإماما من أئمة الهدى.

٣ ـ قالت رب إني وضعتها أنثى

و أرادت المرأة الصالحة أمرا و أراد الله أمرا ، والله أعلم بمصلحة عباده ، فإذا هي تلد أنثى ، فتحزن لذلك وتغشاه الكآبة ، ولكن الوليدة لم تكن ككل أنثى ، بل كانت أقوى على العبادة ، وأعلى همة في الطاعات والخيرات ، من كثير من الفتيان ، وإذا قدر الله ـ

لحكمة يعلمها ـ أن تكون أنثى ، والنبوة لا يضطلع بأعبائها إلا الرجال ، فقد قدر الله أن تكون أما لنبي صالح يكون له شأن :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾

٤ ـ عناية الله بالفتاة الصالحة

وكانت في كفالة سيدنا زكريا لمكانتها منه وفي رعاية الله تعالى ، فكان الله يكرمها بالأثمار والفواكه في غير أوانها وفي غير مكانها ، فتأكل منها ما تشاء وتهب منها ما تشاء :

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

٥ ـ إلهاما من الرب الرحيم

وألهم الله زكريا ـ وهو نبي من الأنبياء ، ومن العقلاءِ الأذكياءِ ـ أن من يقدر على أن يكرم فتاة صالحة أخلصت أمها في النذر بها و الدعاءِ لها ، و أخلصت هي في الطاعة والعبادة ، بفواكه سابقة لزمانها أو متأخرة عن أوانها ، يقدر أن يهب شيخا قد طعن في السن وعلاه الشيب وأثر فيه الوهن ، ولدا قد انقطع منه الرجاءَ لعلو السن وعقر الزوج ، وجرت العادة أن لا يولد لرجل في هذه الحال .

فجاشت نفسه ، وعلت همته ، وانتعش الأمل ، وقويت الثقة بالرب ، ففاض لسانه بدعاء ، أمنت عليه الملائكة ، وتحركت به رحمة الله ، وكان كله إلهاما من الرب الرحيم ، وتقديرا من العزيز العليم :

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ ﴾

٦ـ بشارة ولد

وأجاب الله دعاءه ، وتوجهت إليه البشارة بولد صالح قرب زمان ولادته .

وخلق الإنسان من عجل ، فطلب أمارة على إمكان هذا الحدثِ الكبير وقرب ظهوره ، فقال ﴿ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ فالقادِر الذي يستطيع أن يسلب خواص الأشياءِ ، فيجعل اللسان الناطق أبكم لا يستطِيع أن يتحرك بكلمة ، يستطيعَ أن يودع ما شاء مِن مخلوقاته ما شاء مِن خواص ، والقوي الذي يستطِيع أن يمنع ، يستطيع أن يعطي .

٧ ـ آيات الله وقدرتَه

وظهرت آيات الله وقدرته فِي جسمه ثم في بيته وأسرته ، و ولد يحيي فقرتَ به عينه ، واشتد بهِ أزره ، وعاشتْ به دعوتَه . واسمعوا القرآن يحكي هذه القصة تارة في إيجاز و طورا في تفصيل ، فيقول :

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

٨ ـ يحي يضطلع بأعباءِ الدعوة

ويولد يحي فيكون قرة عين لأبويه ، وخليفةً لوالده العظيم ، فيضطلع بأعباء الدعوة إلى الله وإلى الدين الخالص ، وتظهر فيه آثار النجابة منذ الصغر ، فيقبل على العلم بشغف وهو غلام ، ويتحلى بالصلاحِ والتقوى وهو شاب ، ويمتاز عن أقرانه في الحب والحنان والبر بالأبوين ، يشار في ذلك إليه بالبنان ، يقول الله تعالى مخاطبا له :

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾.

قصة سيدنا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام

١ـ قصة خارقة للعادة

ويجئ دور سيدنا عيسى ، وهو آخر الرسل قبلَ نبينا محمد رسول الله ، وهي قصة تجلت فيها إرادة الله القاهرة ، وقدرة اللهِ المطلقة ، وحكمة اللهِ الدقيقة ، فأمره كله خارق للعادة ، وولادته خارقة للعادة ، حارت فيها الألباب ، ونسخت فيها القوانين الطبيعية ، وشق الإيمانَ بها والتصديقَ لها على من آمن بالقوانين الطبيعية كإله لا يزول ولا يحول ، وآمن بالتجربة والمشاهدة وبأحكام الطب والطبيعة كناموس لا يتغير ولا يتبدل ، وجهل قدرة اللهِ التي أحاطت بكل شيء ، وغلبت على كل شيء ، وإرادته التي لا يحول دونها شيء، ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾

وهان هذا الإيمان على من آمن بالله كإله قادر مريد ، خَالِقٍ صَانِعٍ ، ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

و آمن بخلق آدم من ماء وطين ، ومن غير أم وأب ، وولادة من أم من غير اب اهون وايسر للتصديق من ولادة من غير أم واب ، و لذلك يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾

٢ ـ أمر كله عجب

وأمر سيدنا عيسى كله عجب ، وقد كانت ولادتَهَ في عصر بلغت فيه ((يونان)) أوجها في العلوم العقلية والرياضية ، وكانت للطب دولة و صولة .

٣ ـ خضوع اليهود للأسباب الظاهرة

وخضع اليهود ـ وهم أمة كثر فيها الأنْبياءُ ـ للعلوم السائدةِ في عصرهم ، واشتهر فيهم إنكار الروح وما يتصل بها ، واعتادوا أن يفسروا كل ما يرونه تفسيرا ماديا ، فلا وجود لشيء عندهم ولا إمكان لحادث إلا بالسبب والعلة ، فكانت المعجزات التي أكرم الله بها

سيدنا عيسى علاجا للعقل المادي الضيق ، وحاجة العصرِ ونداء الزمان .

وأمعن اليهود في الوقوف عند الظاهر والتمسك بالقشور دون اللباب ، والتشبث بالمظاهر دون الحقيقة ، وغلوا في تقديس العنصر والدم ، وفي حب المال والمادة ، وانهمكوا في الحياة انهماكا زائدا ، وقست قلوبهم ، وجفت طبائعهم ، فلا يرقون للضعيف ولا يعطفون على الفقير ، ويعاملون من لا يجري في عروقه الدم الإسرائيلي معاملة الحيوانات والكلاب أو الجمادات التي لا روح فيها ، يخضعون للأقوياء الأغنياء ، ويتجبرون على الصغار الفقراء ، ويقسون عند القدره ، ويلينون عند العجز ، قد ولدت فيهم حياة الذل والعبودية التي عاشوها في الحكم الروماني الذي دام مدة طويلة في سوريا و فلسطين ، النفاق والخنوع ، والتحيل والدهاء ، واللجوء إلى المؤامرة والسرية .

٤ ـ استخفاف وتمرد

وولد فيهم الاستخفاف بالأنبياء والاجتراء عليهم، حتى بالقتل، والتعامل بالربا، والعبث بالتعاليم الدينية، الغلظة والجفاف، وضعف العاطفة الإنسانية، وتجردت قلوب كثير منهم من حب الله الخالص، والرحمة على الإنسان ـ مهما كان أصله وفضله ـ واحترام الإنسانية.

وكادوا ينسون معاني المؤاساة والمساواة، والبر والكرم، وكانوا يؤمنون بالنبوءات والرسالات، وقد كثرت فيهم الأنبياء، وزخرت صحفهم بأخبارهم، ولكنهم قد أصبحوا في الزمن الأخير لا يؤمنون إلا بما وافق هواهم، وأيدهم في سيرتهم وأخلاقهم، أما من انتقدهم وحاسبهم، ودعاهم إلى الدين الصحيح والحق الصريح وإصلاح الحال، عادوه وحاربوه، وكانت عندهم جراءة على البهت والافتراء، وكتمان الحق، وشهادة الزور.

٥ ـ نعمة الله على بنى إسرائيل

و كانوا أمة تمتاز عن الأمم المعاصرة في كل زمان ، بعقيدة التوحيد ، وذلك سر تفضيلهم على غيرهم ، وقد قال الله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

٦ ـ نكران للجميل

ولكن تسربت إليهم بحكم الاختلاط ومجاورة الشعوب الوثنية المشركة ، وبطول العهد بتعاليم الأنبياء ، عقائد زائفة ، وعادات جاهلية ، وقد عبدوا العجل في مصر ، و بالغوا في تقديسِ عزير و تعظيمه ، حتى تخطوا به حدود البشرية ، و بلغت بهم الوقاحة إلى أن نسبوا بعض أعمال الشرك والوثنية ، و أعمال السحر والكفر ، والأفعال الشنيعة إلى بعض الأنبياء ، ولم يتقوا الله فيهم .

٧ ـ زهو و دلال

وكانوا رغم كل ذلك شديدي الإدلال بالنسب ، شديدي الاعتماد على الأماني و الأحلام، يقولون :﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ ﴾﴿وَيَقُولُونَ ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾﴿

٨ ـ ولادة المسيح

تتحدى المحسوس المعروف

وكانت ولادة المسيح وحياته ، ودعوته ومعيشته ، تحدياً لكل ذلك ، تحديا للمحسوس المقرر ، تحديا للأعراف الشائعة ، و العادات المتبعة ، و القوانين المرسومة ، والمثل العليا التي يؤمن بها اليهود ، والعادات التي يتنافسون فيها ، ويتقاتلون عليها ، فولد من طريقة غير مألوفة ، وكلم الناس في المهد ، ونشأ في أحضان أم فقيرة متبتلة ، و عاش في جو مليء بالطعن والقدح ، بعيد عن مظاهر العظمة والغنى ، يجالس الفقراء ، و يؤاكلهم ، ويحنو عليهم ، ويواسي

الضعفاء والغرباء ، ولا يفرق بين فقير وغني ، وحاكم ومحكوم ، وشريف و وضيع .

٩ ـ معجزات المسيح

وأكرمه الله بالنبوة والوحي ، وآتاه الإنجيل ، وأيده بروح القدس ، و المعجزات الباهرة ، يشفي الله به المرضى الذين عجز عن مداواتهم الأطباء ، ويبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن الله ، ويخلق للناس من الطين كهيئة الطّير ، فينفخ فيه ، فيكون طيرا بإذن الله ، وينبىء بما يأكله الناس ويدخرونه في بيوتهم .

فيعيد بكل ذلك الثّقة بما جاء في التوراة من خبر معجزات الرسل ، و أخبار القدرة الإلهية ، و يجدد الإيمان بها ، ويكذب العبادة للحس و التجربة ، فقام الذين ينكرون سعة القدرة الإلهية ، وقوة الإرادة الربانية، فقرروا أن لا جديد وأن لا مزيد فيما علموه وشاهدوه .

١٠ ـ دعوته إلى الدين وتكذيبه اليهود

وكذب اليهود في كثير مما تخيلوه وغلوا فيه ، وحرموا ما أحله الله ، وأحلوا ما حرمه الله ، يدعوهم إلى روح الدين ولبابه ، وأصله و حقيقته ، والحب لله حبا يغلب على كل حب ، والرحمة على الإنسانية واحترامها ، والمواساة للفقراء ، و يدعوهم إلى التوحيد الخالص ، ورفض كل ما دخل على دين الأنبياء من عادات جاهلية ، و عقائد باطلة.

١١ ـ اليهود ينصبون له الحرب

وشق كل ذلك على اليهود ، ونصبوا له الحرب ، ورموه عن قوس واحدة ، ورشقوه بالتهم والقذائف ، وتناولوه بالسب القبيح والقول البذي ، وتناولوا أمه مريم البتول بالقذف والطعن ، وعاكسوه وطاردوه ، وأهاجوا له الأوباش ، وسدوا فى وجهه الطرق .

١٢ـ قصة عيسى في القرآن

ثم أرادوا قتله والتخلص منه ، فحماه الله و رد كيدهم عليهم ، و رفعه وكرمه ، اقرؤوا قصته في القُرآنِ :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞
فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ
﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ
قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ
ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا
لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ
مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ
ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا
تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

١٣ـ سيرته ودعوته في القرآن

و اقرأوا وصفه تعالى لسيرته ودعوته ، في قوله سبحانه : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾

١٤ـ صراع قديم

و وقع لسيدنا عيسى ما وقع للأنبياءِ قبله ، فابتعد عنه الرؤساء والزعماء ، وهجره الأغنياء والأقوياء ، ورأوا في الإيمان به واتباعه غضاضة وعيبا ، وشق عليهم التنازل عما كانوا عليه ، من رئاسة وزعامة ، وامتياز وسيادة ، وصدق قول الله تعالى :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

٥١ ـ إيمان عامة الناس وفقرائهم

ولما يئس عيسى منهم ، وشاهد فيهم العناد والكفر ، و رأى أنهم قد جحدوا بما جآء به من آيات بينات ومعجزات باهرات استيقنتها أنفسهم ، واستصغروه ، لأنه لم يكن صاحب حول وطول ، أقبل على عامة الناس وفقرائهم ، وقد لانت قلوبهم ، و صفت نفوسهم ، لأنهم يأكلون بكد يمينهم وعرق جبينهم ، لا يتفاخرون بنسب ، ولا يتطاولون بجاه ومنصب ، فآمنت منهم طائفة ، فيها القصارون ، وفيها صيادو الأسماك ، وفيها أهل الحرف والمهن .

١٦ـ نحن أنصار الله

فآمنوا بالمسيح ، والتفوا حوله ، ووضعوا أيديهم في يده ، وَقَالُوْا ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ :يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ :

﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا

مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

١٧ ـ سياحته ودعوته

وكان سيدنا عيسى يقضي أكثر أوقاته في السياحة ، والانتقال من مكان إلى مكان ، يدعو بني إسرائيل إلى الله ، ويهدي خرافهم الضالة إلى ربها و سيدها ، ويتفق له في هذه الجولات والرحلات اليسر والعسر ، والضيق والرخاء ، ويتحمل ذلك صابرا ، ويقبل هذا شاكرا ، ويصبر على الجوع ، ويجتزىء بما يسد الرمق .

١٨ ـ الحواريون يطلبون مائدة السماء

أما الحواريون فلم يكونوا بمنزلته من الصبر والجلد والتقشف والزهادة ، وأصابهم شيء من ذلك ، فطلبوا من سيدنا عيسى أن يسأل الله أن ينزل لهم مائدة من السماء يأكلون منها ويشبعون بعد جوع ، وينعمون بعد عناء .

١٩- سوء أدب

ولم يكونوا متأدبين في سؤالهم ، فقالوا : ﴿ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ ﴿١١٢﴾ ﴾ ولم يعجب عيسى سؤالهم ، وكره الأسلوب الذي خاطبوا به ، والأنبياء جميعا يطالبون أممهم بالإيمان بالغيب ، ويكلفونها إياه ، وليست المعجزات مخاريق يسلى بها الأطفال ، ويلهى بها الأغمار ، وإنما هي آيات من الله يظهرها على أيدي أنبيائه حين يشاء ، و تقوم بها حجة الله على العباد ، فلا يمهلون بعد ظهورها وإنكارها .

٢٠- تحذير قومه من سوء العاقبة

لذلك خاف سيدنا عيسى عليهم ، وحذرهم من سوء العاقبة ونهاهم عن امتحان الله تعالى ، فهو أعلى وأجل من ذلك .

٢١ - إلحاح وإصرار

ولكن الحواريين تشبثوا بسؤالهم ، وذكروا أنهم جادون في هذا السؤال ، لا يقصدون امتحانا ، إنما

يريدون اطمئنانا ، وليكون ذلك ذكرى للأجيال القادمة ، وقصة تحكى و تروى على مر الأيام ، فتكون دليلا على صدق هذا الدين ، ومنزلة المؤمنين الأولين ، والحواريين الصادقين .

٢٢ ـ القرآن يحكي القصة

و دعوا القرآن يحكي هذه القصة : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

٢٣ ـ اليهود يحاولون التخلص من سيدنا عيسى

و عيل صبر اليهود ، وفاضت كأس عدائهم وعنادهم ، فأرادوا التخلص من سيدنا عيسى ، فرفعوا قضيتة إلى الحاكم الرومي وقالوا : إنه رجل ثائر فوضوي مرق من ديننا ، واستهوى شبابنا ، ففتنوا به ، وفرق أمرنا ، وسفه أحلامنا ، و شغل بالنا .

٢٤ ـ أسلوب الناقمين والسياسيين

و هو خطر على الدولة ، لا يخضع لنظام ، ولا يتقيد بقانون ، ولا يعظم عظيما ، ولا يقدس قديما ، وهو رجل ثوري ، إذا لم يكف شره فإنه يتفاقم ، ولا تستصغر الشرارة مهما كانت تافهة.

٢٥ ـ مكر و دهاء

وكان كلاما مملوءا بالمكر والدهاء ، مصبوغا بالصبغة السياسية ، وكانوا يعرفون أن الجانب الديني

لا يثير الحكام ولا يهيجهم ، فقد كان من سياستهم أن لا يتدخلوا في أمور اليهود الدينية ، ولذلك خلطوا الْكَلاَمَ بالسِّيَاسَةِ .

٢٦ ـ مشكلة

و كانْ من الصعب أن يتحقق الحكام الأجانب المشركون حقيقة الأمر ، ويعرفوا أغراض اليهود ، وسبب عدائهم للمسيح ، وكانوا في شغل شاغل عن ذلك بالأمور الإدارية، لكن اشتد إلحاح اليهود ، وطال ترددهم فأرادوا التخلص من هذه القضية التي أصبحت حديث البلد .

٢٧ ـ سيدنا المسيح في المحكمة

وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت ، وكان اليهود لا يعملون شيئا يوم السبت ، وكان يوم عطلة وكف عن العمل ، فكانوا حريصين كل الحرص على أن يصدر الحكم قبل غروب شمس يوم الجمعة ،

ويستريحوا من أمر المسيح ، فيناموا هادئ البال ، و يصبحوا ناعمي البال ، لا يزعجهم شيء .

وقد ضاق الحاكم بالقضية ذرعا ، وليست له فيها رغبة ولا لأمته فيها مصلحة ، وقد احتشد اليهود لسماع الحكم ، وهم بين صائح و هاتف ، ومتندرٍ ومتهكم ، والحاكم متضايق ، والوقت قصير ، والشمس قد مالت للغروب ، فأصدر الحكم عليه بالقتل صلبا .

٢٨ ـ القانون الجنائي في ذلك العصر

و كان القانون الجنائي في ذلك العصر يوجب أن يحمل المحكوم عليه بالسنق صليبه الذي يصلب عليه ؛ وكان المشنق بعيدا كما هي العادة في البلاد المتمدنة ، وكان الجمع حاشدا يتساقط بعضه على بعض ، وكان رجال الشرطة ـ وأكثرهم من الأجانب ـ مأمورين موظفين لا رغبة لهم في هذه القضية ، وكان الإسرائيليون أشباها عندهم يلتبس عليهم أمرهم ، فلا يميزون بينهم ، شأن الأجانب في نظر

الأجانب ، و كان الوقت مساءا قد مد الظلام رواقه ، وكان بعض اليهود والمتحمسين السفهاء من الشباب ينهالون على السيد المسيح ، ويتدافعون عليه ، يسبونه ويعيرونه ، ويريدون إيذاءه وإهانته..

٢٩ - عيسى يتحمل الأذى

وكان السيد المسيح لاغبا ، قد أضناه الجهد ، وطول الوقوف في المحكمة ، وتحمل الأذى ، وكان الصليب ثقيلا ، وقد كلف حمله ، فكان لا يستطيع أن يسرع في المشي .

٣٠ - تدبير إلهي

وهنا أمر الشرطي المؤكل به ، شابا إسرائيليا بحمل العود ، وكان أشد زملائه حماسة ، وأكبرهم سفاهة ، وأحرصهم على إيذاء السيد المسيح ، و مبادرة له ، حتى ينتهي الأمر سريعا ، ويتخلص من هذه المسئولية المرهقة .

٣١ ـ ولـكن شبه لهم

وهـكذا وصل الموكب إلى باب المشنق ، فتقدم شرطة المشنق ، وتسلموا الأمر من الشرطة المدنيين ، ورأوا الشاب يحمل الصليب ، واختلط الحابل بالنابل ، وكثر الضجيج ، وأخذوا بيد الشاب الحامل للصليب ؛ وهو لا يشك في أنه هو المحكوم عليه بالصلب ، وهو يصيح ويضج ، و يعلن براءته وأنه لا شأن له بالحكم والصلب ، وإنما كلف حمل العود سخرة وظلما ، وشرطة المشنق لا يلتفتون إلى ذلك ، ولا يفهمون لغته ، لأنهم من الروم واليونان الأمة الحاكمة .

٣٢ ـ تنفيذ حكم

وكل مجرم يتنصل من جريمته ، وكل مجرم له صياح وعويل ، وأخذوه ونفذوا فيه الحكم ، واليهود واقفون على بعد والدنيا ليل وظلام ، وهم يظنون كل

الظن أن المصلوب هو المسيح [1].

٣٣ - رفع عيسى إلى السماء

أما سيدنا عيسى ابن مريم فقد نجاه الله تعالى من كيد اليهود ورفعه إليه مكرما مطهرا من الذين كفروا .

٣٤ - القرآن يتحدث عن القصة

وذلك قوله تعالى وهو يتحدث عن اليهود :

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾

---

[1] استندنا فى هذه القصة ، والملابسات والأجواء التى أحاطت بها ، إلى الوثائق المسيحية التاريخية والقانونية التى ظهرت ودونت في العصر الأخير .

وهو في السماء كما يريده الله تعالى ، وهو القادر على كل شيء ، وقد كانت ولادته عجبا ، وحياته عجبا ، وأمره من أوله إلى آخره عجب ، خارق للعادة مثبت للقدرة الإلهية المطلقة .

٣٥ ـ نزول عيسى عند القيامة

وسينزل من السماء حين يريده الله ، ويقيم الحجة على من فرطوا فيه وأفرطوا ، من اليهود والنصارى ، وينصر الحق ، ويكبت أهل الباطل ، كما أخبر به نبينا و وردت به الأخبار الصحيحة والأحاديث المتواترة ، واعتقده المسلمون في كل عصر ، وصدق الله العظيم :﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾

٣٦ ـ بشارته ببعثة سيدنا محمد ﷺ

و لم يكمل سيدنا المسيح مهمته في الدعوة لشدة محاربة اليهود وكيدهم له ، وضعفه وقلة أنصاره ، فودع

الناس ، وامتثل أمر ربه ، وبشر الناس برسول يأتي من بعده ، يكمل ما بدأهُ ، ويعمم ما خصصه ، وبه تتم نعمة الله على عباده وتقوم حجته على خلقه :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ ﴿٦﴾ ﴾

٣٧ ـ من التوحيد الخالص إلى عقيدة غامضة

ومن غرائب تاريخ الأديان ، ومما تدمع له العيون ، وتذوب له القلوب ، أنه تحولت دعوة المسيح إلى التوحيد الخالص والدين السهل السائغ البعيد عن كل غموض وتعقيد ، وتحريف وتأويل بعيد ، الدعوة إلى عبادة الله وحده ، والسؤال منه ، و الالتجاء إليه ، وحبه الخالص ، إلى عقيدة غامضة ، وفلسفة معقدة ، فغلا فيه أتباعه و أطروه إطراءا خرج به من حدود البشرية إلى حدود الألوهية ، فقالوا :﴿ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ

﴿ ﴿وَقَالُوا ﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿١١١﴾ ﴾ وَقَالُوا :﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴿٧٢﴾ ﴾ وَجَعَلُوا مِنَ الإِلٰـهِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ الَّذِيْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ، أُسْرَةً مُّؤَلَّفَةً مِّنْ ثَلاَثَةِ أَعْضَاءٍ ، كُلُّهُمْ إِلٰـهٌ ، فَقَالُوا : الرَّبُّ وَ الإِبْنُ وَ رُوْحُ الْقُدُسِ ، وَاعْتَقَدُوا فِي مَرْيَمَ أُمِّ الْمَسِيحِ ، وَعَامَلُوْهَا بِمَا يَبْلُغُ بِهَا إِلَىٰ دَرَجَةِ التَّقْدِيْسِ وَالْعِبَادَةِ ، فَقَالُوا : أُمُّ اللهِ " وَشَاعَتْ لَهَا تَمَاثِيْلُ وَصُوَرٌ فِي الْكَنَائِسِ ، يَخْضَعُ لَهَا النَّصَارَىٰ بِاللُّجُوءِ وَالدُّعَاءِ ، وَالنَّذْرِ وَالاِنْحِنَاءِ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ مُنْكِراً مَّا اعْتَقَدُوْهُ ، مُسْتَبْشِعًا مَّا فَعَلُوْهُ :﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾

٣٨ ـ عيسى يدعو إلى عبادة الله وحده

وقد دعا كغيره من الأنبياء إلى عبادة الله وحده ، فجاء من قوله في الإنجيل : ((مكتوب للرب إلهك

تسجد ، وله وحده تعبد))(متى٤:١٠) وقوله ((مكتوب للرب إلهك تسجد ، وله وحده تعبد))(لوقا٤:٨) وقد قال الله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

٣٩ ـ القرآن يصرح بدعوة عيسى

و قد نقل القرآن ـ وهو الكتاب المصدق لما بين يديه والمهيمن عليه ـ من إعلان سيدنا عيسى بالتوحيد الخالص والدعوة إليه ، في أسلوب صريح واضح لا مزيد عليه :﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾

٤٠ ـ منزلة التوحيد في دعوته

و قال في أسلوب جميل بليغ يتذوقه كل من عرف منزلة التوحيد وسيرة الأنبياء والمرسلين ، وما طبعوا عليه من معرفة الله تعالى ، والخضوع له والرهبة منه :

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾

٤١ ـ مشهد رائع من مشاهد القيامة

وقد صور القرآن في بلاغته و إعجازه ، مشهدا من مشاهد القيامة الرائعة ، يتبرأ فيه سيدنا عيسى عما تقوله الناس فيه ، وعاملوه به ، ويوضح دعوته في قوة وصدق ، ويدين في هذه القضية الغلاة من أمته ، وأنهم هم المسؤلون وحدهم عن هذه الجريمة ، اقرؤو

القرآن ، واستشعروا جلال الموقف وروعة المشهد : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾

٤٢ ـ من عقيدة غامضة إلى وثنية سافرة

وانتقل دعاة المسيحية إلى أوربا بدافع من عندهم[1] وقد شاعت فيها الوثنية السافرة من زمان ،

---

(١) لأن المسيح لم يأمرهم بذلك ، فقد صرّح بأنه أرسل لخراف إسرائيل الضالة .

وغاصت فيها إلى الأذقان ، فكان اليونان وثنيين ، وقد تصوروا صفات الله في شكل آلهة شتى ، نحتوا لها تماثيل ، وبنوا لها معابد وهياكل ، فللرزق إله ، وللرحمة إله ، والقهر إله ، وكانت الرومية عريقة في الوثنية والتمسك بالخرافات ، وقد امتزجت الوثنية بلحمها ودمها ، وجرت منها مجرى الروح والدم ، وكان الرومان يعبدون آلهة شتى ، فلما وصلت إليهم النصرانية ، وتنصر قسطنطين الكبير سنة ٣٠٦م ، واحتضن الدين الجديد وتبناه وجعله دين الدولة الرسمي ، بدأت النصرانية تأخذ الشيء الكثير من العقائد الوثنية والتقاليد الرومية والفلسفة اليونانية، وتدنو إليها رويدا رويدا ، وصارت تفقد أصالتها النبويّة ، وبساطتها الشرقية ، و حماستها التوحيدية ، ودخل فيها بعض المنافقين فطعموها بعقائدهم القديمة وذوقهم الوثني، و نشأ من ذلك دين جديد، تتجلى فيها النصرانية والوثنية سواءا بسواء.

وكذلك سارت النصرانية الزاحفة الفاتحة على درب غير الدرب الذي سلك المسيح بها عليه، ودعا

إليه ، وكانت كسالك طريق يضل عن الطريق – عن قصد أو عن غير قصد ـ في ظلام الليل ، فيواصل سيره على طريق لا يلتقى بالطريق الأول إلى الأخير.

ولهذه الحكمة الدقيقة التي لا يعرفها إلا من قرأ تاريخ هذه الديانة ، وصفهم الله بالضلال حين وصف اليهود بالمغضوبية ، فقال على لسان المسلمين :

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ وَكَانَتْ فِي ذٰلِكَ مَأْسَاةٌ لِّأُوْرُبَّا، وَمَأْسَاةٌ لِّلْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي قَادَتْهَا أُوْرُبَّا زَمَنًا طَوِيْلاً ، وَلا تَزَالُ مُسَيْطِرَةً عَلَيْهَا وَمُتَحَكِّمَةً فِيْهَا : وَ ﴿ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ ۝٤ ﴾

نشاطات تعليمية

قصة سيّدنا شعيب عليه السلام

الأسئلة :

١ - إلى من أرسل النبيُّ شعيب ؟

٢ - ما العقدة التي كان أهل مدين يعانون منها ؟

٣ - إلى أيِّ شيءٍ دعا شعيب قومه ؟

٤ - ما جواب قوم شعيب على دعوته إلى التوحيد ؟

٥ - ما السهم الأخير الذي أطلقه المتكبرون من قوم شعيب ؟

٦ - بما عوقب أهل مدين نتيجة تكذيبهم للنبيّ و كفرهم بنعمة الله ؟

ثـنِّ المفردات التالية :

انتصار ، نصيحة ، قصة ، نبيّ ، مكيال .

اشرح معاني الكلمات التالية :

الأيكة ، لا تبخسوا ، التطفيف ، عوجاً ، جاثمين .

هات أضداد الكلمات التالية :

افتح ، كذَّبت ، ينهى ، رِفْق ، جمع ،

ركّب جملة مفيدة من الكلمات التالية، و اضبط أواخرها بالشكل :

النصيحة ، الميزان ، الأمانة ، الحسد ، الإصلاح .

خذ كلمة من السطر الأول مع ما يناسبها من السطر الثاني لِتُكَوِّنَ جملة مفيدة :

نصيحة ، حلال ، شعيب ، رزق .
نبيُّ ، حسن ، مُخلصة ، طيِّب .

ضع كلَّ كلمة مما يلي في المكان المناسب لها :

(حلالا ، نفقه ، وحده ، علماً)

- الله هو الرقيب عليكم .....
- أغناه الله و رزقه .... طيباً
- قالوا يا شعيب ما ... كثيراً ما تقول .
- ربنا وسع كل شيء ...

رتِّب الكلمات الآتية لتصير جُملا مفيدة :

- أهل، كان ، مدين ، المكيال ، ينقصون .
- بعث ، إلى ، نبيه، قومه ، الله ، شعيبا .
- إلا ، توفيقي ، بالله ، ما .
- افتح ، وبين ، ربنا ، بالحق ، قومنا ، بيننا .

نشاطات تعليمية

قصة داؤد و يونس عليهما السلام .

الأسئلة :

١. ماذا سخر الله تعالى لداود عليه السلام؟
٢ - كيف شكر داود نعم الله ؟

٣ - عدد بعض نعم الله تعالى على سليمان عليه السلام؟

٤ - كيف تجلى ذكاء سليمان ؟

٥ - كيف تجلى تيقظ سليمان في تدبير مملكته و رهبة سلطانه ؟

٦ - ما المهمة التي قام بها الهدهد؟

٣ - إلى أي شيء دعا سليمان ملكة سبأ ؟

٤ - بماذا أجابت ملكة سبأ سليمان ؟

٥ - لماذا أحضر سليمان عرش ملكة سبأ قبل أن تصل إليه؟

١٠- لِمَ غيَّر سليمان بعض صفات عرش ملكة سبأ ؟

١١- من أيِّ شيء أمر سليمان أن يبنى القصر ؟

١٢ - هل أسلمت ملكة سبأ ؟ و لماذا ؟

استعمل كل كلمة مما يلي في جملة مفيدة :

الدعاء ، التسبيح ، النعمة ، الريح ، النمل .

ضع الكلمة المناسبة في الفراغ من الجمل التالية :

(المياه ، زمانا، جنودك ، الهدهد، صدق ، اطلعت ، الجيش) .

كان ... رائدا سليمان و عينه، على مواضع ...، و منازل ...، فبحث عنه فلم يجده ، فأنكر ذلك و توعَّده ، فغاب ... يسيرا، ثم جاء فقال لسليمان : ... على ما لم تطلع عليه أنت ولا ... ، وجئتك بخبر ... عن سبأ و ملكتهم .

أدخل فعلا ناقصا على الجملتين الإسميتين التاليتين :

- الشمس طالعة

- القصر عظيم

استعمل (الواو) و (ثم) و (أو) في ثلاث جمل مفيدة، على غرار الجملة التالية :

- خصَّه الله بفقهٍ دقيق و علم عميق

نشاطات تعليمية

قصة سيدنا أيوب وسيدنا يونس عليهما السلام

الأسئلة :

١ - ماذا كان يمتلك أيوب ؟

٢- ما البلاء الذي أصاب أيوب ؟

٣ - من كان يقوم بأمور أيوب و تأمين احتياجاته؟

٤ - كيف تلقى أيوب البلاء ؟

٥ - كيف عافى الله في بدنه، وردَّ عليه ماله ؟

٦ - ما الهدف من إيراد قصة أيوب ؟

٧ - ما اسم القرية التي أرسل إليها يونس عليه السلام ؟

٨ - إلى أي شيء دعا يونس قومه ؟

٩ - ما جواب أهل نينوى على دعوة يونس ؟

١٠ - لِمَ خرج يونس مغاضباً لقومه ؟

١١- كيف عبَّر أهل نينوى عن توبتهم ؟

١٢ - كيف ابتلع الحوت يونس عليه السلام ؟

١٣ - هل استجاب الله دعوة يونس ؟

املأ الفراغات التالية بالكلمات المناسبة :

(بدنه ، يونس ، ملجا ، ماله ، صابراً)

- كان أيوب ... شاكراً لله تعالى ،
- عافى الله أيوب في ... و ردَّ عليه ...
- أرسل الله حوتاً فالتقم ...
- علم يونس أن لا ... من الله إلا إليه .

رتب الكلمات التالية جملا مفيدة :

- له ، الغم، فاستجبنا، من ، و نجيناه ،
- أحد ، يبق ، عليه ، يحنو، لم، زوجته ، سوى .
- مغاضباً ، تمادوا ، في ، فخرج ، كفرهم ، لهم .

ضع خبزا مناسبا من الكلمات التالية في الفراغات:

(صابرا ، معينة ، سجينا)

- صار يونس ... في بطن الحوت .
- كان أيوب ... على البلاء .
- ظلت زوجة أيوب ... له حتى شفي من مرضه .

نشاطات تعليمية

قصة زكريا ويحيى عليهما السلام

الأسئلة :

(١) ما صفات الولد التي تجلت في دعاء زكريا ؟
(٢) متى طلب زكريا من ربه أن يهب له ولدا؟
(٣) هل أجاب الله دعاء زكريا ؟

(٤) على أي شيء تدل استجابة الله لدعاء زكريا ؟

(٥) ما صفات امرأة عمران ؟

(٦) ماذا نذرت امرأة عمران ؟

(٧) ماذا وضعت امرأة عمران ؟ وماذا قالت ؟

(٨) ماصفات الأنثى التي وضعتها امرأة عمران ؟

(٩) من كفل ابنة امرأة عمران ؟

(١٠) كيف تجلت عناية الله بالفتاة الصالحة ؟

(١١) ماذا ألهم الله تعالى زكريا ؟

(١٢) ما الأمارة التي طلبها زكريا على إمكان تبشيره بولد صالح ؟

(١٣) كيف تجلت قدرة الله تعالى في إعطاء زكريا ولدا صالحا ؟

(١٤) ما اسم الولد الذى بشر به زكريا ؟

(١٥) ما صفات يحيى ؟

(١٦) بماذا امتاز يحيى عن أقرانه ؟

رتب الكلمات التالية لتصير جملا مفيدة :

- الله ، أن ، سألت ، يتقبل ، الولد ، به ، وينفع ، هذا
- بأعباء ، إلا ، النبوة ، لا يضطلع الرجال
- بالثمار ، أكرمها ، أوانها ، في غير ، والفواكه ، الله
- بالصلاح ، تحلى ، شاب ، وهو ، والتقوى ، زكريا ،
- ضع الكلمات المناسبات في الفراغات التالية :

(لأبويه ، الخالص ، التقوى ، النجابة ، يحيى ، بأعباء)

ولد .....فكان قرة عين ... ، وخليفة لوالده العظيم ، فاضطلع .....الدعوة إلى الله ، والدين ..... ، وظهرت فيه آثار ..... منذالصغر ، فأقبل على العلم ، وتحلى بالصلاح و ...

ضع خبرا مناسبا لإن أو أخواتها ، واضبط حركة آخره فيما يلي :

- إن مريم ..... صالحة .
- علم زكريا أن الدعاء .....
- ليت الحياة ... من الأمراض .

اضبط الاسم المعطوف والمعطوف عليه بالحركة المناسبة فيما يلي :

- كان الله يكرمها بالثمار والفواكه .
- زكريا نبي كريم ، وعاقل ذكي .
- ظهرت آيات الله و قدرته في أسرة زكريا .

ضع فعلا مناسبا للمفعول المطلق فيما يلي :

- ..... آيات الله وقدرته ظهورا واضحا .
- ..... الأمل في نفس زكريا انتعاشا كبيرا .
- ..... الله دعاء زكريا استجابة .

نشاطات تعليمية

قصة عيسى عليه السلام

:

(١) من هو آخر الرسل قبل نبينا محمد ؟
(٢) لماذا كانت قصة عيسى كلها عجبا ؟
(٣) تحدث عن صفات اليهود ، وخضوعهم للأسباب الظاهرة .

(٤) ما سر تفضيل بني إسرائيل قديما على غيرهم من الأمم ؟

(٥) كيف تجلى زهو بني إسرائيل ، واعتمادهم على الأماني والأحلام ؟

(٦) كانت ولادة عيسى تحديا للمحسوس المعروف ، وضح ذلك .

(٧) اذكر بعضا من المعجزات التي أيدالله بها عيسى .

(٨) إلى أي شيء دعا عيسى اليهود ؟

(٩) ما موقف اليهود من دعوة عيسى ؟

(١٠) أراد اليهود قتل عيسى ، فكيف حماه الله تعالى منهم ؟

(١١) ماصفات النبي عيسى في القرآن الكريم ؟

(١٢) من آمن بعيسى عليه السلام ؟ ومن كفر بدعوته ؟

(١٣) ما اسم المؤمنين بدعوة عيسى ، أولئك الذين ناصروه ؟

(١٤) كيف كان عيسى يقضى أكثر أوقاته ؟

(١٥) ماذا طلب الحواريون من عيسى ؟ ولماذا ؟

(١٦) لماذا حاول اليهود التخلص من عيسى ؟ وماذا فعلوا ؟

(١٧) كيف شبه بين عيسى والرجل حامل الصليب ؟

(١٨) بمن نفذ حكم الصلب ؟

(١٩) كيف نجا عيسى عليه السلام ؟

(٢٠) متى ينزل عيسى مرة ثانية إلى الأرض ؟

فهرس الكتاب

م	الموضوع	الصفحة
١	مقدمة	٣
٢	قصة سيدنا شعيب عليه السلام	٥
٣	نظرة على القصص السابقة	٥
٤	قصة صراع بين الحق والباطل	٥
٥	وإلى مدين أخاهم شعيباً	٦
٦	دعوة شعيب عليه السلام	٧
٧	أب رحيم ومعلم حكيم	٨
٨	جواب قومه	٩
٩	شعيب يشرح دعوته	٩
١٠	ما نفقه كثيراً مما تقول	١٠
١١	شعيب يتعجب من قومه	١١
١٢	السهم الأخير	١١
١٣	حجة قاطعة	١٢
١٤	بل قالوا مثلما قال الأولون	١٢
١٥	عاقبة أمة كذبت نبيها	١٣
١٦	بلغ الرسالة وأدى الأمانة	١٣
١٧	قصة سيدنا داؤد وسيدنا سليمان عليهما السلام	١٣
١٨	القرآن يتحدث عن آلاء الله	١٤
١٩	نعمة الله على داؤد	١٥
٢٠	شكره على هذه النعمة	١٥

م	الموضوع	الصفحة
٢١	نعمة الله على سليمان	١٦
٢٢	فقه دقيق وعلم عميق	١٧
٢٣	سليمان يعرف لغة الطير والحيوان	١٨
٢٤	قصة هد هد	١٩
٢٥	سليمان يدعوا ملكة سبأ إلى دينه	١٩
٢٦	الملكة تستشير أركان دولتها	٢٠
٢٧	هدية مساومة	٢١
٢٨	الملكة تأتي خاضعة	٢٢
٢٩	قصر عظيم من زجاج	٢٣
٣٠	وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين	٢٤
٣١	القرآن يحكي قصة سليمان	٢٤
٣٢	وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا	٢٧
٣٣	قصة سينا أيوب وسيدنا يونس عليهما السلام	٢٧
٣٤	قصة أيوب نمط آخر من القصص	٢٧
٣٥	صبر أيوب	٢٨
٣٦	محنة ومنحة	٢٩
٣٧	قصة يونس وحكمتها	٢٩
٣٨	يونس بين قومه	٣٠
٣٩	يونس في بطن الحوت	٣١
٤٠	واستجاب الله دعاءه	٣٢
٤١	قصة سيدنا زكريا عليه السلام	٣٣
٤٢	دعاء ذكريا لولد صالح	٣٣

م	الموضوع	الصفحة
٤٣	نذر امرأة عمران	٣٤
٤٤	قالت رب إني وضعتها أنثى	٣٤
٤٥	عناية الله بالفتاة الصالحة	٣٥
٤٦	إلهاماً من الرب الرحيم	٣٦
٤٧	بشارة ولد	٣٧
٤٨	آيات الله وقدرته	٣٧
٤٩	يحيى يضطلع بأعباء الدعوة	٣٨
٥٠	قصة سيدنا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام	٣٩
٥١	قصة خارقة للعادة	٣٩
٥٢	أمر كله عجب	٤٠
٥٣	خضوع اليهود للأسباب الظاهرة	٤٠
٥٤	استخفاف وتمرد	٤٢
٥٥	نعمة الله على بنى إسرائيل	٤٣
٥٦	نكران للجميل	٤٣
٥٧	زهو و دلال	٤٤
٥٨	ولادة المسيح تتحدى المحسوس المعروف	٤٤
٥٩	معجزات المسيح	٤٥
٦٠	دعوته إلى الدين وتكذيبه اليهود	٤٦
٦١	اليهود ينصبون له الحرب	٤٦
٦٢	قصة عيسى في القرآن	٤٧
٦٣	سيرته ودعوته في القرآن	٤٩

م	الموضوع	الصفحة
٦٤	صراع قديمٌ	٤٩
٦٥	إيمان عامة الناس وفقرائهم	٥٠
٦٦	نحن أنصار الله	٥٠
٦٧	سياحته ودعوته	٥١
٦٨	الحواريون يطلبون مائدة السماء	٥١
٦٩	سوء أدب	٥٢
٧٠	تحذير قومه من سوء العاقبة	٥٢
٧١	إلحاح و إصرار	٥٢
٧٢	القرآن يحكي القصة	٥٣
٧٣	اليهود يحاولون التخلص من سيدنا عيسى	٥٤
٧٤	أسلوب الناقمين والسياسيين	٥٤
٧٥	مكر و دهاء	٥٤
٧٦	مشكلةٌ	٥٥
٧٧	سيدنا المسيح في المحكمة	٥٥
٧٨	القانون الجنائي في ذلك العصر	٥٦
٧٩	عيسى يتحمل الأذى	٥٧
٨٠	تدبير إلهي	٥٧
٨١	ولكن شبه لهم	٥٨
٨٢	تنفيذ حكم	٥٨
٨٣	رفع عيسى إلى السماء	٥٩
٨٤	القرآن يتحدث عن القصة	٥٩

م	الموضوع	الصفحة
٨٥	نزول عيسى عند القيامة	٦٠
٨٦	بشارته ببعثة سيدنا محمد ﷺ	٦٠
٨٧	من التوحيد الخالص إلى عقيدة غامضة	٦١
٨٨	عيسى يدعو إلى عبادة الله وحده	٦٢
٨٩	القرآن يصرح بدعوة عيسى	٦٣
٩٠	منزلة التوحيد في دعوته	٦٤
٩١	مشهد رائع من مشاهد القيامة	٦٤
٩٢	من عقيدة غامضة إلى وثنية سافرة	٦٥